

دار ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني

خواطر

مرورنا تسطر وكلماتنا تعبر

الكتابة عهد عبدة المهري

حروفاً تسطر وكلماتاً تعبر

عهود عبده المصري

اسم الكتاب: حروفاً تسطرّ وكلماتٌ تعبّرُ
 اسم المؤلف: عهود عبده الكتاب المصري
 المصححة: فاطمة محمد مصري
 المنسقة: فاطمة محمد مصري
 الناشر: دار ياقوت للنشر والتوزيع
 المؤسسة: فاطمة محمد
 التواصل: 01555191983

غير مسموح بأي نسخ أو نشر أو تصوير أي شيء من
 الكتاب بدون علم الناشر ومن يفعل ذلك يتعرض للمساءلة
 القانونية.

أهدي هذا الكتاب لنفسي، لأنني انا من زرع في قلبي القوة،
وأيقظ في روحي الأمل في لحظة اليأس، ورغم الصعاب،
ورغم الفشل الذي حاول مرارًا أن يثنييني، وكنتُ دائمًا أقف
على قدميَّ وحدي، أنفض عني الغبار وأكمل المسير.
كل كلمة كتبتها كانت صوتًا داخليًا، وكل حلم سعت وراءه
كان خطوة تقترب بي من نفسي الحقيقية.
لذلك أهدي هذا الكتاب لنفسي، لأنني وحدي من يستحق أن
يحتفل بكل تعب مرّ، وكل نجاح تحقق، من بين الظلال،
ورأيت النور، ومن وسط التحديات نبتت قوتي. أنا من
خطوتُ الطريق، وأنا من صنعتُ الانتصار، وكل حرف في
هذا الكتاب هو شهادة على ما كنتُ عليه.

مدخل الكتاب

أكتب عن أمنية تراودني، أملاً في أن تتحقق يوماً، أرسم حلمًا في الأفق، عسى أن يصبح غدًا حقيقةً مشرقة. أتحدث عن واقع مؤلم ومنحرف، يجلد الروح ولن يتغير، عن طريق ظننتها آمنة، فسلكتها لأجد نفسي محاطةً بالأخطار والهلاك. عن اختيارات تكررت بالخيبات، وعن الظلم الذي يعشش في أفئدة البشر. كتبت لكم عن غرابة هذا العالم، وفقدان الأمان في هذا الزمان.

ما أكتبه مجرد محاولات لفهم ما بداخلي وبما أشعر، وبين
السطور أخبئ كل ما يعجز لساني عن قوله، وفي داخلي
نصوصٌ لا نهاية لها، ومفردات لا تلمس إلا بجروح الروح،
وأكتب للآخرين، ولكنني أكتب لأنفسي أولاً، وأبحث عن
تفسير، عن راحة، ولكن يبقى الكثير في الأعماق لا يُقال.

بينما أنت تحترق لأجل من تحب، سيأتي يوم يجعلك تنطفئ،
وسيملاك بالفراغ، ويجعلك تبحث عن النور لكي تضيء من
جديد، وستكتشف أن هناك فجوات عميقة بينك وبينه، وكان
خطوك الوحيد أنك أدركتها مؤخرًا، ولم تدركها منذ البداية،
وسيجعلك تفقد قدرتك على تصديق الحقيقة، فالروح لا
تحتمل الانطفاء، والعقل يرهق ويشتت من التفكير.

ما أخفي عنك.. كنت أنت تؤلمني.. و تصرفاتك تقتلني.. أنت
 من يلاحظ هدوئي وانطفائي.. و صمتي وكتماني.. وتركتني
 أتخبط في ظلماتي.. وجعلتني أبحث عن المعنى بين
 السطور.. ولم أجد جواباً لكل تساؤلاتي.. فيزيدني إدراكي
 بأنك تود أن تجعلني أتوه في انطفائي وضياعي.. وتجعلك
 النيران تشتعل بداخلي.. وتذهب دون مبالاة لما أعاني.

لا أرى، ولا أعرف، ولم أدرك أي شيء يدور حولي،
 وسأتجاهل كل شيء يزعجني، وسأدعي الغباء ببراعة، لكي
 أنجو من الجميع بسلام، كي لا أفقد شغفي، وأن لا ترحل
 راحتي، وأن لا تتلاشى طاقتي كما لو كانت سراياً ويختفي،
 ولن أحاول فهمهم، لقد وصلت إلى نقطة لا يهمني فيها
 آراؤهم ولا كلامهم، فقد تركتهم خلفي ولن ألتفت، فلم يعد
 يهمني وعودهم التي ملأها الكذب والجفاء، فقد تعلمت أن
 راحتي في صمتي، وتجاهلي لأفعالهم المؤذية، واليوم أنا
 أقوى، وأنا من أقرر من يكون في عالمي.

لم يكن كرهًا، بل كان شيئًا مريّرًا، ووجعًا دفينًا كظل أسير،
 وخيبة قلبٍ وثق يومًا فخذل، فضاعت خطاه بطرق غريبة،
 جرحًا عميقًا بلا مخرجٍ ولا يزول، ولن يداويه الزمن، ويظل
 محفورًا بعمق الفؤاد، ليس عداءً، وليس حنينًا، بل صمت
 روحٍ تموت ببطء شديد.

جعلوا مني شخصًا يخشى الاقتراب، قلبه مليء بالأسئلة التي
 لا إجابة لها، كلما قررت أن أثق بهم، فوجئت بأن الخيانة
 هي الجواب لكل أسئلتي، وأصبحت أبحث عن الأمان في
 عالم لا يعترف بالصدق.

لدي حدسًا عميقًا، وأشعر بنواياهم قبل أن يهمسوا بالكلمات، وأراهم في الصمت، قبل اللمحات، حتى وإن حاولوا إخفاء ما في قلوبهم، فحتمًا حدسي يفضحهم دون أن أسأل أو أعرف، كل نظرة منهم تحمل سرًا بعيدًا لا أحد يعلم خفاياها سواي، وكل ابتسامة تُخفي ما وراءها، وأحيانًا يكون صمتي هو الجواب لما يدور في أفكارهم، لأنني أرى ما لا يُقال، وأشعر بما لا يُكتب، وبما لا يُعبر عنه.

سألوها: كيف عرفت أنه لم يعد يحبك؟ فأجابت بابتسامة حزينة: لم يعد يبحث عني في حديثه، ولا يفتقدني في غيابي، أصبحت كلماته عابرة، لا تحمل الدفء الذي اعتدت عليه، صمته معي صار أثقل من كلماته، ونظراته صارت بلا معنى، وكأنني لم أعد أعني له شيئًا، ولم يعد يسأل عن تفاصيل يومي كما كان من قبل، ولا يهتم إن كنت سعيدة أو غارقة في حزني، ولا يبالي لما يحدث معي، وكان بإمكانني أن أقاوم كل شيء يحدث، إلا أن أتحوّل إلى شخص عادي في حياة وقلب من كنت له كل شيء.

في زمن التوقعات تعودت أن أعيش بلا آمالٍ كبيرة، فكل التوقعات تبقى سرابًا في العيون، الحياة علمتني أن لا أحد يبقى كما كان، وأن لا أثق بأحد، وأن كل الوعود لا تُصدق في زمن الخذلان، لأنها مليئة بالكذب والتلاعب، أصبحت أرفع سقف أمانى فقط لنفسي، فهي الوحيدة التي لا تخذلني أبدًا، ولا أحد يستحق أن أرفع سقف أمانى به، وتعلمت أن أحتفظ بما في قلبي لنفسي سرًا، وأن أعيش بلا خوف من أي تغيير.

بمناسبة الجفاء، حتى العتاب أصبح غريبًا على قلبي، أيام كنتُ أبحث فيها عن السبب جفاك، لكن اليوم صمتك أرحم من حديثٍ لا يثمر شيئًا، ما عاد في قلبي متسع للعتاب، فقد تلاشى الود مع أول خيبة منك، وإنني أترك كل شيء وراء ظهري يخذلني، ويحاول إنهاكي، وأكتفي بأنني لا أحتاج تفسيرًا من أحد.

أحياناً الطريق إلى السلام يبدأ بجروح عميقة، وألم لا ينتهي،
وعندما تخذلك الدنيا وتغدر بك الوجوه التي كنت تأمنها على
نفسك، وحينها فقط تجد نفسك تبحث عن الأمان في مكان
آخر، وحين تظن أن لا أحد يفهمك، يأتي الله ليُعيد لك الحياة
بلطفه، ويغنيك عن كل شيء فقدته فخذلك وغدر بك، ويملاً
قلبك بالسلام الذي لا يعكر صفوه شيء.

ما كان في أفكاري أنني سأجذك يوماً، حتى تبدلت حياتي
بمجرد لقائك، في لحظة صار القلب ملكاً بين يديك، وبدأت
أيامي تشرق بنور حبك، كنتُ أعيش في عالم بعيد، ولكن
وجودك جعل كل شيء أقرب وأوضح، ومنذ أن عرفتكَ،
عرفت أن الحب قدرٌ لا مفر منه، وأنني محظوظ لأنك
أصبحت جزءاً من حياتي، وأنتَ السر الذي جعل من قلبي
ملاذاً للسعادة، وأنتَ الحظ الذي لم أتوقعه يوماً ما.

حبه الغامض يقتلني

أعلم أنه يحبني في صمتٍ؛ غريب، ولكن حبه ضاع بين
الكلمات، وفي قلبه أنا، لكنني لا أجدني في أفعاله أبدًا، يخاف
عليّ، ولكن ليس لديه القدرة على حمايتي، فقط أنها كلمات
بلا أفعال، وأحتاجه ولكنني لا أراه في تقلبات الأيام، وعندما
تضيق بي الحياة ويضيق صدري يختفي كريح عابرة أنت
لتهمس لي بنسيمها وترحل، وهكذا هو حبه لي كعذابٍ
ينتشلني من اطمئناني إلى الهاوية فتتهكني، حبٌ موجود لكنه
غامض لا أعرف ماذا يود مني، وأنا حائر بين قلبه،
والأفعال التي أراها منه.

عندما يغيب الضوء، يظهر عمق الظلام، والحب الحقيقي هو
أن يظل القلب خائفًا من هذا الفقد، لا يدركون قيمتك إلا
عندما تبتعد، وتختفي عن أنظارهم، وتصبح الأيام صمتًا
بغيابك، أصدق الحب ليس في المسافة البعيدة، بل في الشوق
الذي يلاحق الغياب، وعندما تغيب يفقدونك، وعندما يشتاقون
لك يبحثون عنك، في تلك اللحظات يتكشف القلب حبه
الحقيقي، وتعرف من يقدر قيمتك، وتصبح الحقيقة هي
الخوف من الخسارة.

ثم ماذا؟

ثم أني أحبك وأهيم بك، وكلني شوقاً لك ولرؤيتك.
 ثم أنك تستحل قلبي بعمق.
 ثم أنك أصبحت كل شيء، ولا شيء يكتمل إلا بك.
 ثم أنك شخصي المفضل، وأمير قلبي، وحببي ونبضي.
 ثم أنك كل تلك الدعوات التي دعوت الله بها فاستجابت،
 فغيرت حياتي إلى سعادة حينما أتيت إلي.
 ثم أنك الحياة وأنا بك أعيش.
 ثم ماذا بعد حبك؟

ثم أنك كل أشيائي، وكل حياتي، كل اطمئناني وملاذ فؤادي.
 ثم أني سأحبك حباً أعجز عن وصف مداه، سأغرقك بحبي
 وحناني الذي لن تنجو منه أبداً، سأغمرك بالسعادة التي لا
 حزن بعدها، سأكون لك ومنك، سأحتويك في كل أوقاتك،
 وبكل حالاتك، سأكون لك كل شيء تتمناه.

ياسعده من كانت الطمأنينة تزوره كل حين، ويابهجة فؤاده
 من كان باله يخلو من عواصف الهموم، والنور يأتي ليكرم
 نفسه من الظلام، ودب الخير في طريقه كل حين، وتلقاه
 مغموراً بالخير والسرور، فهنيئاً له براحة البال، وتيسر
 الأحوال.

أخاف دائماً بأن تكون سعادتي مرهونة بالحزن، وراحتي
 بالتعب، وثقتي بالخذلان، وجهدي بالإخفاق، وصمودي
 بالسقوط وعدم التحمل.

ذات يوم قيل لي كلمات احتلت أعماق أفكاري:
 أمثلك يبقى تائهاً؟ ومشتتاً بين دياج الأيام؟ أمثلك يترك وسط
 الظلام؟ أمثلك يترك بين الحزن والألم؟ أمثلك يسقط ويستسلم
 بسهولة؟ أمثلك يترك دروباً ضائعة؟ وطرقاً مسدودة أبوابها؟
 وتودي بك إلى الهلاك؟ أمثلك يفلت جميع الأحلام؟

أهيمُ بحبٍ، لكني لستُ أُجبرُ
 على البقاء حيثُ قلبي ليس يُحتسبُ
 إذا الرحيلُ طيفٌ، فلا تُؤذيني
 وتذكر: أنا فيك دوماً لا أُحرمُ
 أريدُ أماناً لا خلفَ الأوهام
 أريدُ صدقاً لا يُخفيه الظلام
 لا تكن خيالاتٍ تأتييني وتغادرُ
 لا تكن جسدي الذي يذبلُ في الدماء
 كن نبضاً يحيي سكون ساعتي
 ولا تكن يوماً الماضي في كف العذاب
 إذا كانت المسافة تُلهبُ قلبي،
 فلتكن كلماتك زهراً في سحابٍ.

أنتِ لي، لا أحتاج لشرحٍ أو كلمات،
 فبين يديكِ تتلاشى المسافات.
 حين تبتسمين، يغني الكون أجمل الألحان،
 وحين تحزنين، أرى في عينيك الأمطار.
 أنا من أزهر حينما تلمسيني،
 وكل كلمة منك تأخذني إلى السماء.
 أنتِ لست مجرد لحظة في عمري،
 بل أبدية تشعل في قلبي شعلات النور.
 أنتِ السكون في زحمة الحياة،
 أنتِ الضوء في عتمات الطرق.
 ومهما كانت الدنيا ضبابية،
 أنتِ الوضوح في عيني، أنتِ الفجر.
 حضورك يجعل الأيام أبهى،
 وفي غيابك يسكنني صمتٌ ثقیل.
 لك وحدك سحرٌ لا يُضاهى،
 وأنتِ لي الحلم الذي تحقق.

قل للذين تغيروا وتنكروا

ما عاد يُغريني وصالٌ مُزهرُ
 قد كنتُ يومًا في المودّة نبعم
 لكنهم خانوا، فقلبي أبحرُ
 لم ينقص النجم المُضيء بغيبتهم
 بل زاد في عيني السماء وأزهرُ
 العزُّ ألا أنحني لجفائهم
 فأنا الذي بالصدقِ دوماً أفخرُ.

يمانيون، كيف الروح تحملنا؟
 وكلّ دربٍ لنا يفضي إلى المحن
 نسير نحو مصابيحٍ معلقةٍ
 فلا تضيء، ولا ينجو لنا سفن
 تقاسمونا كما تقسم الغنائم، لا
 حدود ترسم، بل وهم من الوطن
 وكلما قيل: هذا الحزن منقطع
 يزيد في العمر لا يفنى، ولا يهن
 فكم سنمنح من دمعٍ نغطي به
 تراب أرضٍ غدت سجنًا بلا ثمن؟

يا فلسطينُ، يا قلبَ الأملِ في السماء

عهدك لا يُمحي، فالصبرُ هو البقاء
 ستعودين، يا زهرة الأرضِ المبتسمة
 وسيبقى اسمك يرفرفُ في كلِّ الأرجاء.
 أيُّها الحلمُ الذي لم يكتمل بعدُ
 أيُّها الجرحُ الذي لم يشفَ بعدُ
 لكِ فينا وعدٌ، وفي السماءِ راياتٌ
 أنَّ فجرَكِ آتٍ، وما كانَ الغروبُ إلا مؤقتًا.
 حروفُكِ لن تُنسى، ومحرابُكِ سيعودُ
 وستحلقُ في سمائكِ طيورٌ لا تهجرُ
 سيبكيك الزمانُ، ولكن دموعكِ ستُصبحُ فرحًا
 وكلُّ حجرٍ فيكِ سيغني أغنيةً جديدةً للحرية.
 يا قدسُ، يا معقلَ العزَّةِ، يا فجرَ النصرِ
 لكِ منا عهدٌ لا يغيبُ، ولا يزولُ
 وسيبقى الأملُ فينا، في كلِّ قلبٍ ينبضُ
 فإنَّ النصرَ قد اقترب، وهذا وعدُ اللهِ الحقِّ.
 يا شمسَ الأملِ، سطعي في سمائنا
 ويا طيورَ الفجرِ، احملي السلامَ
 ستعودين، وستبقى فلسطينُ الحبيبةِ
 في قلبِ كلِّ عربيٍّ، وفي قلبِ الأحرارِ الأوفياءِ.

غريبٌ كما لو أنني لم أكن
 كان صوته وطنًا،
 وكانت كلماته ظلًّا أستظلُّ به،
 وكان وعده أمانًا...
 ثم تغيّر.

صار بعيدًا كأن المسافة لم تكن يومًا قلبًا واحدًا،
 صار باردًا كأن الدفء الذي كان بيننا كان وهمًا،
 صار غريبًا كأنني لم أكن له يومًا كل شيء.
 لم يعد يسأل، لم يعد يهتم،
 لم يعد يضيء اسمي في عينيه،
 وكأن الحب انطفأ بصمتٍ،
 وكأنني كنتُ محطة، ووصل إلى وجهته الأخيرة دوني.
 المؤلم ليس الغياب،
 بل أن يبقى لكنه ليس هو،
 أن تتحدث معه، فتجد غريبًا يحمل وجهه،
 أن تسمع صوته، فلا تجد قلبه.
 تُرى...

كيف يستطيع من أحبّ بصدق أن يتغيّر؟
 وكيف لمن كان نصف الروح أن يصبح لا شيء؟

أحبك عندما تهتم بي، وعندما تعاملني وكأنني طفلتك المدللة،
 أحبك عندما تعاتبني على تقصيري، وتوقظني إن أخطأت
 يوماً، أحبك عندما تجعلني أشعر بالأمان والسعادة.

وبلحظة يتحطم كل شيء بنيته، وكل حلم تمنيته، وتقع في
 بحر تأنيب الضمير؛ لأنك وثقت بأحدهم، وبدأت تغرم فيه،
 وتكتشف أن كل ذلك مجرد سراب، وأنت عابرٌ وراحلٌ بين
 الأسى والخذلان، وأن الزمن لن يتراجع مرة أخرى إلى
 الأمام لكي ترى حقيقة الأشخاص، فكلهم كاذبون
 ومخادعون، والجميع أصبحوا أعداءك.

أنه محزن للغاية عندما تنتظر شخصاً أن يأتي للقائك، ولا يهتم سوى نفسه، ولا يهتم لأمرك ولو لمرة، ويرى مشاعرك الفياضة، ولهفتك لرؤيته، ويتجاهلك وكأنه لا يراك.

لقد اعتادت أرواحنا على الدمار، والإنهيار، ولا شيء يبقى كما هو، حتى أجسادنا تغيرت ألوانها، وأصبحت كسواد الليل المظلم المخيف.

وأني في بحر عينيك غارقٌ، ولا أود النجاة حين غرقت فيها،
دعني أتمتع بالنظر فيها، وأتمتع في غرقِي.

كم أحببت بصدق، ولم ألقِ من صدق مشاعري سوى الأذى
الذي يهد أضلعي.

أين أجد ذلك الشخص الذي لا يتخلى عني أبداً؟

سأخبرك أين تجده، ستجده معك في سقوطك، وفي حزنك،
والمك، ويتحملك بتقلبات مزاجك، ويضحي من أجلك،
ويحاول إسعادك بأي طريقة، وأدخال السرور والبهجة إلى
قلبك، أن يقف معك في كل أمور حياتك، ولن يمل منك أبداً،
فاعلم أنك وجدته، ولا تفلته من يدك، حافظ عليه قبل أن
تخسره، فلن تجد مثل هذا الشخص، ولن يتكرر مرتين،
فأحسن التصرف والاختيار.

وأقسم بمن أحل القسم أنني ما أحببت شخصاً ولا تعلقت بأحد
مثلاً أحببتك وتعلق بك، فأصبحت أهتم في حبك، ويزداد
شوقي إليك كل لحظة تمر بي، فقد أدمنتك، ولا أستطيع أن
أتوقف عن حبك.

ثم ماذا؟

ثم أني أود وبشدة أن أختفي عن أنظار الجميع، ثم أني تعبت وما عدت أستطيع التحمل أكثر، فقد اكتفيت بما حدث.

فما عاد لروح روح تؤنسها، فكل الأرواح باتت موحشة،
فكل روح كنت تأمنها على روحك باتت اليوم مخيفة، وكل
أركانها موحشة.

ومتى اللقاء؟

متى ألقاك وبأي أرض يكون لقاءنا؟ متى تهدأ روحي للقياك؟
 متى أنظر إلى عينيك وجمالك، ولتلك الملامح الهادئة؟
 الشوق يفتت أضلعي، ويهدم روحي وملامي، ويحرق
 فؤادي كل حين. قل لي بربك كيف لي أن أتحمل كل أشواقي
 ولهفتي؟ هل سيكون بعد اللقاء بقاءً دائماً؟ ليتني كنت كل
 الناضرين والمقربين إليك، ليتك تعلم كيف يحبك ويعشقك
 قلبي.

تعلمك الحياة

تعلمك الحياة أن جرمك هو أنك صادق من الداخل، ولا
 تؤذي أحداً، فتتلقى دروساً تغيرك كثيراً لدرجة أنك لم تعد
 تعرفهم، ولم تعد تعرف من تكون أنت. إنها الحياة تعلمك
 أشياء لم تكن تتوقعها أو تعرفها، وتجعلك تنضج أكثر من
 اللازم، ولم يعد الكلام يجدي أبداً، فتختار الصمت والابتعاد
 لترتاح قليلاً. فلم تخطئ عندما ظننت وشعرت بأنك أصبحت
 غريباً ولا تنتمي إليهم.

لا أحد يشعر بك

لا أحد يشعر بك حتى وإن كان الجميع قربك. فأنت وحدك من تحارب أحزانك، وتهزم ألمك. مهما كثر الأشخاص في حياتك، ستبقى وحيداً، ويبقى هناك بداخلك شعور غريب يقتلك ببطء شديد. وأنت كتوم دائماً، وعزة نفسك تمنعك من التحدث عما يسلب روحك ويقضي عليك، وذلك لأنك تشعر بأن لا أحد يبالي بك، حتى وإن سلبت منك كل طاقتك وقواك.

لنبقى معاً

لنبقى معاً حتى النهاية. واعدني بأنك لن تخذلني وتحطم قلبي. اعدني بأنك ستكون معي، وكلما احتجت إليك أجدك بقربي، وكلما تألمت أجدك أنت دواءً لكل آلامي. هل ستعاهدني بأنك ستسعدني عندما أحزن ويضيق صدري؟ وسترحب بي وتتقبلني بكل ما أحمله من انكسار وألم وأحزان. أودك أن تكون لي الأمان والاطمئنان الذي لا يخالطه رعب ولا خوف ولا أحزان، بأن تكون حنوناً وليناً معي، وأن تعاملني وكأنني الجميع والوحيدة بهذا العالم، وكأنني طفلتك التي تخاف عليها من الأذى. أرغب بأن أجدك عندما أحتاجك لتقف بجانبني بأسوأ حالاتي، لتكون أنت ملجأً كلما مسني الحزن يوماً، ألجأ وأتكي عليك فيرحل ما بي.

لا أريد موطناً

لا أريد موطنًا أُلجأ إليه، ولا أريد أحدًا ليكون معي، مثلما
 أتمناك وأريدك بقربي. أريدك أنت موطني، ومسكني،
 وملجأِي. أريدك أنت لتكون معي. أريدك أنت لأنك أنفاسي،
 وحياتي، وأنا لك أنتمي. وبك أكتمل، ولك خُلق الحب
 كله في قلبي.

متصنع النسيان

متصنع النسيان يهزمه الحنين والاشتياق. تهزمه أجمل
 الذكريات وتلك اللحظات التي لا تُنسى مع من نحب. يؤلمنا
 الاشتياق لأشخاص أغلى من أرواحنا، ومهما تلهفنا لهم
 ستبقى تلك اللفة واللوعة كقطف ذكرى أليمة تجرحنا كلما
 تذكرناها.

هل تسألت يومًا؟

هل تساءلتم يوماً لماذا نفقد شغفنا وأحلامنا في الحياة؟
لأننا لم نحسب أن لحظاتنا الجميلة ستتحول إلى ذكرى
عابرة. لأن لا شيء يبقى ويدوم، إلا الذكريات المؤلمة التي
ترافقنا. وكل شيء زائل، ولا محال له بالبقاء. الحياة ما هي
إلا تجارب نخوضها، ولم ندرك بأنها ستصفعنا بكل قوة.
تمضي أعمارنا ونحن نحلم بأشياء لن تكون ذات يوم حقيقة،
ونشرد بأفكارنا ونتساءل أين تبخرت آمالنا؟ وكيف بعثرتنا
الحياة؟ وكيف لحلم أن يتحقق في هذا الواقع المتخلف؟

وتبقى أعظم انتصاراتي

وتبقى أعظم انتصاراتي في الحياة أنني أخاف الله فيمن
أحب، ولم أسبب الأذى لأحد. تمنيت لهم الخير كما تمنيته
لنفسي، وأتمنى أن تبقى قلوبهم صافية، مليئة بالود
والاطمئنان.

نحن نرهق قلوبنا

نحن نرهب قلوبنا بتمني الأشياء التي لن تتحقق ذات يوم،
 برغم الحرمان مما نوده. سنمضي مطمئنين بقدرة الخالق
 العظيم، وأن الحرمان هو بداية العطاء. وسيقر الله قلوبنا،
 ويعوضنا بكل ما تمنيناه. ويشهد الله أننا راضينا بما شاء،
 وسيأتي الفرج قريباً، وخيرة الله واسعة. وفي قادم الأيام
 ستتغير أقدارنا إلى الأفضل.

امراة ذكية

امراة ذكية، ومبهرة، ومبهجة مثلي لا تعوض أبداً. وأينما
 مررت أزهر، ومن نال قلبي ولطافتي، نال المعجزات. وفي
 تفاصيلي كل معاني الحسن والجمال.

أين يباع النسيان؟

من أين أشتريه وأنسى كل شيء حدث لي؟ أود أن يتبخر كل ذلك الألم بداخلي، أو أن أفقد ذاكرتي، وأنسى كل ما حدث وكل ما مضى، وسبب لي الكثير بداخلي. هناك في صدري ألم لا ينتهي، وأشعر بأني أختنق، ولم أستطع التنفس، وروحي بهتت. ليس كأني ألم شعرت به، إنه أبشع ما حدث في الوجود. ليت الأيام تمضي وترحل مع كل ذكرى ألمتني، وجعلتني منكسراً لا أستطيع فعل شيء سوى التأقلم معها، وتحمل وخزات فؤادي التي تقتلني ببطء شديد.

وأحببته وكأنه العوض الذي لا نعيم بعده، أحببته بقلب يخشى عليه من كل شيء، بقلب يحيا به. لقد أصبحت أسيرة حبه، وحنان فؤاده.

أجمل ما في الحياة أن تجد شخصًا أحن عليك من نفسك، يخاف عليك من كل شيء قد يؤثر فيك، وتجده معك في كل شيء، يحزن لحزنك، ويفرح عندما يراك سعيدًا. شخصًا لا يهتم سوى راحتك وأن تكون بخير، ويهتم لأمرك، يهتم كل تفاصيلك حتى وإن كانت بسيطة. يستمع إليك بكل إنصات، ويشعر بك وبهدوئك المفاجئ، ويحاول أن يجعلك تبتسم رغم كل شيء قد حدث معك. أن تمتلك شخصًا حنونًا ولطيفًا ويخاف عليك، ويحمل لك بقلبه كل الحب، لا بل أكثر من الحب، إنه شخص لا يُعوض أبدًا. وأجمل نعم الله عليك عندما منحك هذا الشخص.

لا أود أن يحبني أحد غيرك، لا أريد من حظوظ الدنيا سواك، لا أود البقاء إلا لأجلك. أودك أنت لأنني وجدت بك حياتي، وأجمل لحظاتي. وجدت فيك كل معاني الحب، والحنان، والاهتمام. وجدت لك نصفي فأكتملت بك، وأكتفيت بك وبحبك، وبك بنيت أجمل أحلامي وأمنياتي. فأنا أنت، وأنت أنا، وكلانا واحد. وسأبقى أحبك، وسيظل قلبي ينبض باسمك.

تفاصيلي مبهرة كغيمة أكتوبر، وكوردة الياسمين، وخفيفة
كالفراشة، ولا شيء يشبهني. فأنا كالنجمة مشعة، وكالبدر
زاهية، أينما مررت أضيء كل الدروب المظلمة.

ضع حدودًا واضحة في التعامل مع الجميع، لكي لا يظن
البعض بأنك بحاجة إليهم، وحتى لا يروا أنفسهم شيئًا عظيمًا.

يا أيها الإنسان، ليتك لم تشعر، ولم تُخلق بمشاعر. وليتك
تعلم كيف تجبر الخواطر بعد كسرها، وتضمد جروحًا أنت
من أسبابها، وتعيد الفؤاد سليمًا من الألم والخذلان. لحظة، قل
لي بربك، ما هذا البرود الذي أصابك؟ وما هذه القسوة التي
تجري في دمك ولا تلين؟ قل لي، أنت حجرًا دون شعور، أم
أنت إنسانًا لتشعر، وتمضي في دربك كي تبعثر وتكسر
الخواطر؟

لن تصل إلى حالة البرود واللامبالاة إلا عندما تتعلم دروسًا
قاسية. الأمر لا يتعلق بالتجاهل، بل بالمواجهة.

السعادة الحقيقية هي أن تجد نفسك مطمئنًا، ومرتاح البال، وترضى بأقدار الله مهما خالفت ظنونك، وسقف توقعاتك. وأن تنظر للحياة بعين الأمل.

أهم المسؤوليات والأولويات في الحياة هي أن نمضي لرضا الله وطاعته في كل سبل حياتنا، كي يرضينا بجمال الأقدار، وتحقيق الأمان. فعندما تقترب من الله، ستدرك معنى لذة القرب منه، ومعنى أن يحبك ويتولاك، ويدبر أمرك. فأحسن القرب من الله، وتلذذ بطاعته.

ما الذي دهاك لتشعر بالحزن الشديد؟

أتعلم أنني لست بحزين ولا مكتئب؟ لكنني أتألم كثيرًا وأنا صامت، ويكاد صمتي أن يقتلني. لقد قاومت كل صعوبات الحياة وحدي، حتى غرقت في بحورها العميقة، ولم أستطع النجاة منها. بقيت صامدة، وكلفني ذلك كثيرًا، ولم أعد أرجو شيئًا سوى راحة نفسي، وأن أجد طمأنينة قلبي.

لا توجد سعادة تضاهي سعادتي عندما أحادثك، وتغمرني بجمال حروفك، فتداعب قلبي تلك الكلمات اللطيفة، وتشعرني بالأمان والاهتمام. فحديثك بالنسبة لي هو جرعات من السعادة، يملؤني بالأمل، وأشعر بأنك الحيز الوحيد الذي يتسع لي كلما ضاقت بي الأركان يومًا، وأجد فيه الطمأنينة.

عندما سألني أحدهم: "ما هو أجمل شعور في الحياة؟"
 أجبتة: "أجمل شعور هو عندما تجد من يحتويك أوقات
 حزنك، وألمك، وتعبك، وأوقات انكسارك وسقوطك، وعندما
 تبقى وحيداً، يحاول من أجلك، يجعلك تشعر معه بالأمان،
 يطمئنك بأنه سيبقى معك، حتى وإن مال الجميع عنك
 وغادروا. لا يمل منك حتى وإن طالت بك الآلام، والحزن،
 والانكسار. يقدم لك الأمان، ويحاول إخراجك من دوامة
 أفكارك القاتلة، ويمنحك الحب والسعادة."

هناك أوقات تجعلنا نشعر بالندم لسوء اختيارنا للأشخاص
 الغلط، وكل محاولتنا في اختيار الأشخاص المناسبة تخفق
 مرةً تلو الأخرى. لم نتمكن من اختيار الأشخاص الذين
 يتناسبون مع طباعنا، وأفكارهم مع أفكارنا.

أسوأ شعور هو عندما لم تعد الشخص الذي كان يلاحظ كل شيء من حوله، ويتحدث عما يحدث، وفجأة لم يعد يهتم لما يحدث، وتجاهل الجميع، وهرب من نفسه، ومن كل البشر. أسوأ شعور هو عندما لا تستطيع أن تصف ما بداخلك، فتلجأ إلى الصمت، والبقاء وحدك.

ثم ماذا بعد؟

ثم هناك أمل في نهاية الطريق، وأن قلوبنا ستجبر قريباً، ثم هناك لطف يغمرنا، ورحمة تشملنا أينما نمضي. الله معنا، فلماذا نقلق؟

لم تعد الأشياء التي كانت تطمئننا آمنة لقلوبنا، ولم يكن
الأمان إلا مجرد وهم عابر للحظة ثم يختفي.

ليتنا لم نكبر، وليتنا نعود صغاراً. ليتنا لم نعلم بقسوة الحياة،
وليتنا نعود لسعادتنا التي تملأ الأرجاء بصدى ضحكات
البراءة. فقد ملأتنا الحياة بالمخاوف، وأرهقتنا بدروبها
الطويلة.

زاحم أوقات فراغك بأشياء مفيدة، كسجدة تغسل بها قلبك،
 وصفحة من القرآن تعيد سكينه واطمئنان روحك. ولا تكن
 غافلاً عن ذكر الله. اجعل كل أوقاتك ذكرًا وتسبيحًا، وصلاةً
 على سيد الخلق والمرسلين محمدٍ. فأصلاة عليه تطيب
 القلوب وبها تلين.

ويبقى هناك بداخلك فراغ يؤلمك بشدة، رغم وجود الجميع
 حولك، إلا أنك لم تجد من يحتويك، ويطمئنك، ويبقى بقربك،
 وينسيك كل ألمك، وكل ما مررت به.

في الحياة كثيرون ما يقولون أحبك، لكن لا شيء يُثبت هذا الحب أكثر من خوفهم من غيابك. وحين يغيب الوجود، يظهر الحب الحقيقي، وتلك اللحظات التي تكشف كم هم متشبثون بك. لا كلمات ولا أفعال، بل مجرد غياب يكشف حُبهم لك وما في القلب. إذا أصبح الفزع من فقدك هو الدليل الأقوى على عمق محبتهم، فالحب ليس في الكلمات، بل في الخوف الذي يولده الغياب.

وفي لحظات ضعفنا، وحين نشعر أن النور قد غاب، ولا أحد يتقبلنا كما نحن، وبظلامنا الداخلي إلا الله. هو الوحيد الذي يرى ما خلف الأقنعة، ويرى القلب وهو يرتجف من الألم. عندما تنطفئ كل الأضواء حولنا، هو من يُشعل فينا شعلة جديدة، ومن يقبلنا كما نحن، ويُضيء دروبنا من جديد. ففي النهاية لا شيء يعوضنا إلا قربه. هو النور الذي لا ينطفئ، وهو الأمان الذي لا يضيع.

هناك لحظات تختصر أعمارًا، تُفجّر فينا مشاعر لا يُعبر عنها، ولحظات تُسلب منا كل شيء، ومن ثم تُعطينا في المقابل أنفسنا من جديد. وكل فقدٍ، وكل خذلان يترك في الروح أثرًا عميقًا لا يُنسى. لكننا في عمق الألم نكتشف شجاعتنا، ونعيد بناء أنفسنا قطعًا قطعًا. قد تأخذ منا هذه اللحظات الكثير من الوقت، وتستنزف منا طاقتنا، ولكنها في النهاية تمنحنا شيئًا أغلى، وإدراكًا أعمق للحياة، وقوة لم نكن نعلم أننا نمتلكها.

أحيانًا تأتي المواقف بشكل غير متوقع، تظن أنها مجرد لحظات عابرة وتنتهي، ولكنها تكشف لك أكثر مما كنت تتوقع. وتلك اللحظات التي تظنها عابرة، هي التي تكشف لك قيمة وجودك في حياة الآخرين. والأغرب أن بعض الناس يتضح لك مكانهم في قلبك من خلال أخطائهم، وكأنهم نسوا قيمتك. ولكن في النهاية هذه اللحظات هي التي تجعلنا نعرف حقًا من هو الذي يستحق أن نبقى معه ولأجله.

نتجاهل ليس لأننا نحب الصمت والابتعاد، ولكن لأن الكلمات تائهة في عيونهم. ونخفف من وقع الجرح بالتجاهل، لأن بعض الأشخاص لا يدركون قيمة من حولهم إلا بعد فوات الأوان. نحتفظ بالود في قلوبنا، ولكننا نبتعد عنهم بأفعالنا. ولأننا نعرف أن السكوت أفضل من الصراع، نتجاهل ولكن لا ننسى. ففي قلبنا مكان لهم، ولكن في عقولنا لا نجد حلاً إلا الصمت.

أريد أن أهرب من ضجيج الزمان، إلى مكانٍ لا يعرف إلا السلام والأمان. أحتاج إلى أرض طاهرة، تُغسل فيها الروح من كل شقاء. هناك حيث لا يعبث الصوت، ولا يتقبله الزمان، وحيث لا تقف الأماني على أطلال الألم. مدينة لا تعرف إلا الهدوء والأمان، وحيث تتنفس الأرض على وقع الأمل. أحتاج إلى لحظات تُنسى فيها الكلمات المؤلمة، وتبقى الأرواح في معانقة الصمت. أريد أن أعيش في عالم بعيد، وحيث لا يُستنزف القلب، ولا يُستباح الزمن.

يسكن القلب من كان لنا عوناً في لحظات الضعف، ومن
يسندنا في شدائد الحياة دون أن نطلب منه ذلك. وذلك
الشخص الذي لا يتردد في الوقوف إلى جانبنا للحظة، وحتى
عندما تتخلى الدنيا عنا يظل متمسكاً بنا، ويظل وجوده في
حياتنا طمأنينة. وحتى في الصمت نعرف أنه هنا، يحمل عنا
جزءاً من ثقل الأيام. فالأرواح التي تلازمنا في المحن، هي
أرواح لا يُعوضها الزمن.

أحياناً يلتهمني شعور بأنني كنتُ أحمق، لأني صدقتُ في
حبٍ كان مجرد كلمات فارغة، وأعطيتُ من لا يستحق،
فكان جزائي الخذلان في غياب الوفاء. وكنتُ أظن أن
الصدق يمكنه أن يُنير الطرق المظلمة، ولكنني اكتشفت أن
بعض القلوب لا تُرى بالصدق، وأنها لا تكثر إلا بما
يرضيها، وحتى لو كان على حساب سعادة الآخرين.

أي زمن هذا؟

أي زمن هذا الذي فقد فيه البشر إنسانيتهم؟ أصبح الأب قاتلاً، والأخ خائناً، والزوج جلاًداً، والصديق طعنة في الظهر. أصبح الصغير بلا طفولة، والضعيف بلا سند، والوفى بلا ملجأ. طفل بريء يُنادي: "أبي، أرجوك لا تؤذني"، لكن الأب الذي كان يجب أن يكون الحامي، أصبح الذئب الذي يفترس لحمه دون رحمة. وأمٌ سهرت لليال، تُرتّل دعواتها ليحفظ الله ولدها، لكنه عاد، عاد ليذبحها بيديه دون أن يرمش له جفن. وأخ كان في صغره ينام على كتف أخته، لكنه اليوم أطفأ روحها كأنها لم تكن يوماً جزءاً منه. أي قلوب تلك التي أضحت حجارة؟ أي أرواح تلك التي فقدت كل معنى للرحمة؟ أصبح الغدر لغة، والخيانة عادة، والخوف ظلاً يلاحق الصادقين. رجل قدم عمره في سبيل امرأة أحبها، لكنها، بدم بارد، أشعلت نارا في جسده، لا شيء، إلا لأن قلبها صار بضاعة تُباع لمن يدفع أكثر. وطفل يتيم وقف في الطرقات باكياً، ينتظر يداً تمسح دموعه، لكن أيادي البشر لم تلمسه إلا لتزيد من جرحه، وتزيد من ألمه. أي عالم هذا؟ أي ظلمة اجتاحت القلوب حتى صار الموت أسهل من الحياة؟ نتق، فنطعن، نحب فنخدع، نُخلص، فنُباع بأرخص الأثمان. لكن الله يرى، والحق لا يموت، ولو اختفى في زوايا الظلم طويلاً. وإن بكت الأرض اليوم على ما حل بها، فالغد يحمل حساباً لن يرحم الظالمين.

ذكرياتنا بين القلب والعين،
تبقى حية رغم الزمن الحزين.
كل لحظة مرت فيها البسمة،
تظل في الروح، أجمل السنين.

الحياة تسير بين الفرح والحزن،
كل لحظة فيها كالنجوم في الزمن.
نعيش ونعشق، نضحك ونبكي،
لكن الموت سرٌّ، لا يدركه العقل مهما فهم.
الحياة رحلة قصيرة في هذا الكون،
تبدأ بحلم وتنتهي بعينٍ مطمئنة.
نحيا في الأمل، ونتعثر بالألم،
لكن الموت هو الراحة بعد الظمأ والحرمان.
لا نعرف متى يطرق بابنا،
لكننا نعيش كما لو أن الحياة أبدية.
وفي النهاية، نعود إلى من خلقنا،
لتبقى الذكريات، وتختفي الأجساد.

في عيونكِ سكُونٌ لا ينطق،
 لكن في قلبكِ شجاعة تزداد.
 الفقد أَلَمٌ، لكنه قوةٌ جديدة،
 تولد في الروح، رغم كل ما مضى.
 تعلمتِ أن الفقد ليس النهاية،
 بل بداية لرحلةٍ جديدة في الحياة.
 في قلبكِ يبقى الأثر، وفي عينيكِ نور،
 أنتِ الشجاعة التي لا تُهزم، مهما كانت الظروف.

ذكرياتنا التي لا تموت، تسكن في القلب وتظل تخفق، كل
 لحظة عاشتها الروح، ترسم في الزمن بسماتٍ فاق، لحظاتنا
 كانت كالورود، تفوح عطرًا حتى في الأيام الحزينة، كل
 ضحكة كانت نبضًا جديدًا، وكل لقاء كان حكايةً تُروى بفنية،
 تلك الذكريات ليست مجرد أوقات، إنها حياة سكنت في
 تفاصيلنا، أنتِ في كل زاوية من الزمان، حتى بعد الفراق
 تبقى في ذاكرتنا، لا يهم كم مر الزمان، تظل الذكريات
 الحلوة تزين الطريق، نحملها في قلوبنا بكل حبٍ وإيمان،
 وتبقى أجمل ما نملك في عالمٍ كبير.

سأبقى أحبك رغم البعاد، ورغم الدروب وطول السهاد، فلا
المسافات تحني الجبين، ولا المستحيل يميت الوداد، وعدتك
وعداً يضيء الدجى، ويحمل قلبي إلى ما أريد، سأصبر حتى
تزول الجراح، وحتى يلين لهذا العناد، فحبك عمر به أكتفي،
وفيه احتمالي وصبري يزاد، فإن جار وقت وأسرف يوم،
فنبض الفؤاد إليك يُعاد.

قلبي ذلك الغريب عني، وكأن قلبي ليس لي، لا يسمع ندائي،
ولا يأبه لرغباتي، يمضي في دروبٍ أعلم أنها ستؤلمني،
ويصرّ على التعلّق بما يكسرني، يبحث عن الدفء في قلوبٍ
باردة، ويحلم بأشياء لا تأتي، يركض خلف المستحيل، ثم
يعود إليّ مُنهكاً، وكأنه لم يتعلّم شيئاً، أعاتبه، وأصرخ فيه،
وأحاول أن أروض جنونه، ولكنه يعاندني، ثم يتركني في
معاركه وحدي، لا أدري أهو عدوي أم صديقي؟ أهو روعي
أم سجنني؟ وكل ما أعرفه أنني عالقٌ معه، ولا مفرّ منه إلا
إليه!

أخشى أن يُفسد الإدراك ما لمستته الروح، وأخاف أن تتيقظ
 ذاكرتي فجأة، وأن تفسر الأحاسيس، وأن تُحلل الدهشة، وأن
 يتحوّل النبض العفوي إلى سؤال، والحلم العابر إلى استنتاجٍ
 مُمل، بعض اللحظات لا تُحتمل تحت ضوء العقل، وتحتاج
 أن تبقى مجهولة، وأن تُعاش كما جاءت بلا تفسير، وبلا
 وعي، وكى لا تفقد رونقها، وأن لا يُطفئها الإدراك كما
 يُطفئ الضوء الظلال، أفضل أن أظل عالقًا بين الحقيقة
 والوهم، وبين الشعور والفهم، وحيث تظل اللحظة نقيّة، ولا
 يلمسها العقل، ولا يُفسدها الإدراك.

أسيرُ وحدي بين الدروب الصامته، وأعانق ظلي كأنه آخر
 من تبقى لي، وأعاتب الأيام التي عبرتني بسرعة دون أن
 تتوقف للحظة، وكأنني لم أكن يومًا جزءًا منها، أعاتب
 الدقائق التي خذلتني، والمشاعر التي جاءت متأخرة،
 والأحلام التي لم تُولد رغم انتظاري الطويل لها، وأبحث
 عني بين الذكريات، وبين نظراتٍ لم تكتمل، وكلماتٍ ضاعت
 في المنتصف، وبين قلوبٍ مررتُ بها، ولم أجد فيها مأوى،
 أبحث عني لعلي أجدني، والحياة لا أدري إن كنتُ أعيشها،
 أم أنها تعيشني، وتسخر مني، ومن ثم تتركني كل مرة في
 منتصف الطريق وحدي، ولا عائداً، ولا واصلاً.

أرى شخصاً في المرأة يشبهني، أراه يبتسم لي كأنه يفهمني،
ويحبّني كما أنا، وبلا شروط بلا تردد، يرى في عيوبي
جمالاً، وفي ضعفي قوة، وفي ندباتي قصصاً تستحق الفخر،
لم يُخذلني يوماً، ولم يتخلّ عني، ولم ينتظر مني أكثر مما
أملك، هو أنا، وأنا هو، وفي عينيه أجد السلام الذي لم
يمنحني إياه أحد، يا لروعة أن أكون لي، وأن أحتضن ذاتي
قبل أن يبحث عنها غيري، وأن أكون موطني الأول، وحيي
الذي لا يخبو أبداً.

ينضج الإنسان بقدر الليالي التي نام فيها وهو مثقل بالهموم،
ولم يخبر أحداً بما يحترق بداخله، وبقدر المرات التي ابتسم
فيها وهو يخبئ خلف شفثيه وجعاً لا يُقال، ولا تعبر عنه
الكلمات، وبقدر الصمت الذي اختاره حين كان الكلام ممكناً
لكنه بلا جدوى، النضج ليس بعدد السنوات، بل بعدد الأحلام
التي أطفئت ولم يفقد بعدها الأمل، وبعدد الخيبات التي
واجهها ولم يتراجع، وبعدد المرات التي قال فيها: "أنا
بخير"، وهو يعلم أنه ليس كذلك، لكنه قرر أن يكون قوياً
رغم كل شيء يحدث.

لا أغفر لك هذا أبدًا، وأن تجعلني أشك في ما كنتُ أثق به
 حدّ اليقين، وأن تُبدل الأمان الذي غرسته في قلبي إلى
 خوف، والصدق الذي آمنت به إلى وهم يخدعني، لم يكن
 خطأك أنك رحلت، بل أنك تركت خلفك قلبًا مثقلًا بالأسئلة،
 وعقلًا لا يكف عن البحث عن إجابات لن تأتي، وبعض
 الأخطاء تُغتفر، ولكن خذلان الثقة؟ ذلك جرح لا يُشفى، ولا
 يُنسى مهما مر الزمن.

يأتي وقت لا يريد فيه الإنسان شيئًا، لا فرحًا ولا حزنًا، ولا
 انتصارًا ولا خسارة، فقط راحة من كل هذا الشعور المرهق،
 ويود لو يتوقف قلبه عن الخفقان بتوتر، وعقله عن التفكير
 بلا نهاية، وروحه عن التعلق بما يؤذيه، وأن يكون كالغيم،
 يمر دون أن يُثقل بشيء، ودون أن يحتاج إلى تفسير كل ما
 يشعر به، فأحيانًا تكون أكبر الأمنيات أن لا تشعر بلا شيء
 على الإطلاق.

مهما سَعَتْ الكلمات إلى تهدئة قلبي، ومهما بحثت عن ملاذٍ في صوتِ حنون، فإنني أعلم أن هناك صوتًا أعظم، وأعمق، وأقرب إلى روحي، وحين تلتقي الكلمات في القرآن، تنسكب السكينة في قلبي، وكأنها غيمة من الأمل تغسل كل ما علق في نفسي من هموم، لا شيء أرحم، ولا شيء أقوى من حديث الله، فهو الحاضن لأرواحنا، هو من يزرع الأمل الذي لا يُنطفئ فتيل الحزن، ويزرع فينا الطمأنينة.

حزينٌ أنا من أشياء لا أستطيع البوح بها، وتسكن في القلب، وتؤلمني دون صوتٍ أو حديث، وكل لحظة تمر تكبر في صدري الجراح، وأنا أتأمل الحياة، ولكني أظل غريبًا فيها، أريد أن أتكلم، ولكن الكلمات تموت قبل أن تخرج مني، وأبحث عن أحدٍ يفهمني، ولكن الصمت هو من أجده معي، في داخلي همسات، وفي عيوني غمامات، لكنها تظل صامتة، ومحاصرة في الحنايا، وأريد أن أقولها، وأريد أن أخبركم، لكن في قلبي شيء أكبر من الكلام، وكلما حاولت أن أتحدث، تكتل الحروف في فمي، وأنا هنا، لا أستطيع أن أكون إلا صامتًا.

في عمق الوجع، وحين تمر بحزن عميق لا ترغب بالكلام،
فكل الكلمات تصبح ثقيلة على القلب، ولا تحتاج لعطف، ولا
لاهتمام، بل فقط لفرصة لتستجمع قوتك بين يديك من جديد،
وتريد أن تظل وحدك بصمتك وبكامل هدوئك، حتى تجد
سلامك المفقود في داخلك.

فقدان الشغف مخيف، وفي لحظة ما فقدت الشغف بكل شيء
حولي، ولم يعد أي شيء يثيرني، ولا شيء يجذب انتباهي،
ولكن الغريب أنني لست حزيناً، ولا مستاء، وأنا فقط في
مرحلة يقين، أقبل ما حدث، وأنتظر ما سيأتي، وفي كل
دعوة، أردد يا رب عوضني خيراً.

هل ستظل بقربي؟ وهل ستكون معي عندما تغزو الحياة قلبي
 بكل متاعبها؟ وعندما يسكن الحزن بين ضلوعي، وتثقلني
 الأيام؟ هل ستكون الحزن الذي يأخذني بكل حنان؟ وتظل
 بجانبني دون أن تشتكي من عبء ثقل قلبي؟ هل ستكون
 صوت الأمل بداخلي حين يغرقني الصمت؟ وعندما تختفي
 الكلمات ولا يبقى سوى التنهّات؟ هل ستكون النور الذي
 يعيد لي الألوان عندما تظلم الدنيا في عيني؟ وتكون اليد التي
 تمسح دموعي وتعيدني للابتسام؟ هل ستتقبلني كما أنا، وبكل
 هشاشتي؟ وحين أكون متعبة، وحزينة، وغارقة في أسئلتي
 هل ستكون السند الذي لا يتركني في لحظات ضعفي؟ وتظل
 معي حتى في أوقات انطفائي.

مقامات المحبة، وفي المحبة هناك مسافات غير مرئية، هناك من يسألك عن حالك، ويكتفي بكلمة، فيكتفي قلبك بكلمة واحدة، فلا يطلب المزيد، ولكن هناك من يسألك عن التفاصيل، فيمنحك مساحة لتروي كل شيء، وكأنهم يقرأون بين السطور ما عجزت عن قوله، ثم هناك من يسكن روحك بلطفه، ويحرر قلبك من كل قيد، ويوجد من يقتحم مساحتك، ويسحب منك حروفك بألم لا تُحكى، المحبة ليست مجرد سؤال، بل هي الطريقة التي تشعر بها، هي الطريقة التي تجد بها نفسك، أينما كان الرفيق، وأينما كان المدى.

أنا التي أعيش لأحلامي، ولا أبحث عن عيون تُشبع ظنوني، فكل لحظة لي هي ملكي، وأنا أكتب في سماء الحياة قصة هويتي، ولا يهمني من يرحل أو من يبقى، فأنا لا أتوقف عن السير، ففي طريقي، أنا صديقي، وفي قلبي أكون أول من أؤمن به.

أريد من يرى في عينيَّ الحياة، ويشعر أنني له وحده من
السماء، ومن يحتويني بكلمات لا تُقال بل بالأفعال، ويشعر
بأنني أغلى ما في الكون، وأريد من يرى قلبي ملجأ،
ويختارني كل صباح، وفي بريق عينيه يجد ملاذه، أريد من
يجعلني أصدق نفسي، وأراه في كل حلم أعيشه، شخصٌ
يُغني حياتي بأفعاله وليس بكلامه، ويجعلني أعيش من أجل
كل لحظة منه مليئة بالسعادة.

لا تحاول أن تخبرني بأنك ما زلت تهتم بي، لأن من يهتم لا
يجعل الغياب عادته، ولا يترك قلبًا كان له وطنًا ليعود إليه
متى شاء، وتحسب وكأن الحب بابٌ يُفتح عند الحاجة ويُغلق
عند الملل! والمحب الحقيقي لا يخذل، ولا يمل، ولا يختار
الرحيل كأنه مجرد نزهة في طرقات النسيان، ولا يعود
معتذرًا، وكأن الاعتذار يمكنه أن يمحو الأثر! إنه من يقاتل
لأجل البقاء، من يعانق الصعاب كأنها قدرٌ مقدّس، ومن يرى
في محبوبه وطنًا لا يُهجر، وسكنًا لا يُستبدل، فلا تحاول أن
تُقنعني بأنك كنت تحبني، لأن الحب الذي لا يُقاوم المسافات،
لا يستحق أن يُسمى حبًا، والقلوب التي تختار الهجر، لا
تعود لتجد أبوابها مفتوحة!

لا تَعُدْ، فالوقتُ ماتَ، وحديثُكَ الآنَ فاتَ، وكيفَ للقلبِ الذي
خُذِلَ، أنْ يُعيدَ الذكرياتِ؟ لا تَعُدْ فالجرحُ باقٍ، ولم تَزَلْ فيه
شظاياك، كنتَ حلمًا فاستحالَ، في مدى الغدرِ شظاياك!
وكنتَ وعدًا من سرابٍ، وكنتَ نبضًا من خيالٍ، ثم صرتَ
كالغدرِ يمشي في دروبي باعتدالٍ! أيُّ حبٍّ تدّعيه؟ والحبيبُ
لا يزولُ، أو يختفي، ولا يُغيّبُه جفاءٌ، ولا يُبدّلهُ أقوال! لا تَعُدْ
فالنبضُ ماتَ وضاعَ، في انتظارِ المستحيلِ، والذي خانَ
الطريقَ، لن يكونَ لهُ سبيل!

ماذا لو عاد معتذرًا؟ أيعيدُ الزمنَ للوراءِ؟ أيمسحُ كلَّ وجع
زرعَه بفؤادي؟ أيرتقي قلبًا مزقهُ الفقدُ والخذلانُ؟ والجرحُ لا
يشفى بالوعود، ولا الحنينُ يُصلحهُ الاعتذار، وهناك أشياءُ
حين تُكسر تبقى ندوبها شاهدةً للأبد ولا تمحي، لا أكرهه،
ولكنّي لستُ كما كنت من قبل، عُدْتُ أقوى، وأعمق، وأشدُّ
صمتًا، فالعودةُ بعدَ الرحيلِ ليستُ كالبقاء، والأسفُ بعدَ الهدمِ
لا يبني شيئًا، ولا يعيد الفؤاد كما كان.

ماذا لو أحببتَ، فأغراكَ الجمال، وثم صدمتَ بنهايةٍ تمزق
 الخيال؟ وكنتَ تسير على دربٍ يحيط به الورد، ولكن كانت
 النهايات هناك خلف سور الظلام، ووعودك كانت كالنسيم،
 لامست قلبي، ثم جاء الزمان وأطفأ كل الأمل، وماذا لو كنتَ
 أحلامًا في عينيّ أو مجرد خيال، وثم أصبحَ واقِعك بعيدًا
 عني؟ لو كانت النهاية مؤلمة وحارقة، لأنني أحببتُك بصدقٍ،
 وها أنا هنا وحيدًا.

لن تجدني مؤذيًا حتى وإن خابت فيك الظنون، وغدوتَ
 سرابًا، ووهجًا يخون، لن أشبه ظُلمَكَ، ولن أكون سهمًا
 يُدمي، أو قلبًا يهون، قد جرحتَ، وقد خذلتَ، وقد أطفأتَ في
 روحي النور، ولكنني لن أكون مثلك، ولن أغرس في
 صدرك الشرور، فأنا الذي رغم طعنك لا أحمل في القلب
 حقدًا عليك، وقد أمضي بعيدًا بصمتٍ، لكنني لن أُوذيك،
 فالأوفياء لا يطعنون، ولا يردّون الأذى بالخناجر، ويكفيهم
 أن العمر يمضي.

لم تَعُدْ أنتِ كما كنتِ، وظننتُكِ وطنًا يأويني، فصرتَ غريبًا
 ينساني، وظننتُكِ حبًّا يحميني، فأصبحتَ وجعًا يبكي، وكنتَ
 الأمان، وكنتَ الحكاية الجميلة، واليومَ صرتَ صمتَ النهاية،
 ولا تسأل عن دمعي الجاري، فأنتَ السببُ في دمار كل
 الحكاية.

ماذا لو التقينا بعد طولِ الغياب؟ وبعد أن صارَ الحنينُ رمادًا،
 والشوقُ ماتَ بينَ جدرانِ العتابِ؟ هل ستتطقُ العينُ بما خانَهُ
 اللسانُ؟ أم سنمضي كالغُرباءِ، بلا سلامٍ ولا جوابٍ؟ وإن
 سألتني: كيفَ حالكِ الآن؟ سأبتسمُ كأنني لم أُكسر، وسأقولُ:
 بخيرٍ كما لو أنَّك لم تكن، ولكنَّ قلبي لن ينسى ما تعلمته
 منك، فبعضُ الفُقدانِ يُشبهُ الموتَ، ولكنَّهُ موتٌ بلا عزاءٍ ولا
 أكفانٍ.

حروفاً تسطّر وكلماتٍ تعبّر

حروفاً تسطّر شوقَ الرّوح
وأشجانَه، وكلماتٍ تعبّر عن
القلبِ وأحزانَه، ونبضِ القلمِ
يروي حكاية الأمانِي، ويُرهِرُ
بين السطورِ عطرَ المعاني.

دائِرَةُ الْقَلَمِ
للنشر والتوزيع

01555191983

فاطمة محمد